# مكنونات الضمائر
# في النص القرآني الكريم

المقصود بالضمائر ما وضعته من الكلم تحت هذا العنوان في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها من ضمائر الأشخاص والإشارات والموصولات. وذلك ضمن تقسيم جديد للكلم في اللغة العربية . ولقد قبل النحاة قول ابن مالك في الألفية :

وما لذي غيبة أو حضور  كأنت وهو إسم بالضمير

ولو أنصف ابن مالك لأضاف إلي عبارة «أنت وهو» لفظين آخرين أحدهما من الإشارات ليمثل معني الحضور والآخر من الموصولات ليمثل الغيبة ، وبذلك يشمل مصطلح الضمير الأنواع الثلاثة جميعاً . ثم يظل لكل نوع من هذه طرق استعماله وظلال معانيه . وفيما يلي بعض ما يتضمنه استعمال الضمائر بأنواعها الثلاثة من التوسع في الأسلوب القرآني :

**أولا : ضمائر الأشخاص :**

المعروف أن معاني الضمائر معان عامة (لاتدل علي شيء مفرد) ، ومن ثم يقول النحاة إن من حقها أن تؤدي بالحرف ، وإن أداءها يعد سبباً للبناء للشبه المعنوي بين اللفظ الذي يحمل المعني العام وبين الحرف . والمعاني التي تحملها الضمائر من ثلاثة أنواع هي :

أ – النوع (التذكير والتأنيث).

ب – العدد (الإفراد والتثنية والجمع) .

ج – الوضع (التكلم والخطاب والغيبة).

وهذه المعاني مما يتوقف عليه فهم الضمير في الخطاب ، بمعني أن

المتكلم من شأنه أن يراعي هذه المعاني لأن رعايتها شرط من شروط الإفادة. ومن ذلك ألا يخاطب المؤنث بضمير المذكر ولا المخاطب بضمير المتكلم .

هذا ما يطلبه نظام اللغة ولكن رعاية النظام شيء ورعاية التداوليات شيء آخر . من ذلك مثلاً مخاطبة الغائب بضمير المخاطب ، ويكون ذلك باستحضار الغائب بالتجريد الذهني لمخاطبته في أمر يهم المتكلم ، وعندئذ يقال : «جرد الشاعر من نفسه شخصاً وخاطبه» ، لأن خطاب التجريد يختلف عن خطاب الحضور . وحين قال أمرؤ القيس :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل  بسقط اللوي بين الدخول فحومل

جرد من نفسه مخاطبين لا مخاطباً واحداً ، ولم يكن لهدين المخاطبين حقيقة واقعة وذلك علي عكس ما يقول به نظام اللغة من حضور المخاطب .

ومن ذلك أيضا أن اختلاف المواقف الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب يسمح ، بل يقضي أحيانا في كثير من الظروف ، أن يخاطب المتكلم السامع المفرد الذي هو أعلي منه درجة في السلم الاجتماعي بضمير الجماعة . فيقول له وهو مفرد : «أهلا بكم وسهلا ، وقد شرفتمونا بزيارتكم». وسيعلم المخاطب عندئذ أنه ليس موضع ترحيب فحسب ، بل هو موضع احترام كذلك . والمتكلم الذي هو أعلي قدراً من السامعين يبيح لنفسه أيضاً أن يشير إلي شخصه المفرد بضمير الجمع ، فيقول : «نحن كذا وكذا قررنا ما يلي : ....» أما في حال الإشارة إلي الغائب فإن الاحترام يكون بإضافة الصفة الداعية إلي الاحترام إلي الغائب أو ضميره، فيقال : «جلالة الملك» أو «سمو الأمير» أو «سيادة الرئيس» أو «معالي الوزير» أو غير ذلك من صفات التكريم . أو يقال : جلالته وسموه وسيادته ومعاليه ويظل الضمير علي حاله.

هنا يمكن أن نتناول أسلوب القرآن الكريم فيما يتصل باستعمال الضمائر ، سواء ما يقوله المتكلم وما يتقبله السامع . فالذين يذكرون اللّه بضمير الخطاب يقولون : «أنت» بضمير المفرد علي عكس ما في الحياة

الإجتماعية الإنسانية ، وإن ذكروه في غير الخطاب فذلك بضمير المفرد «هو». ومن شواهد ذلك بالنسبة للخطاب :

* « إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » (البقرة ٣٢) .
* « أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» ( البقرة ٢٨٦) .
* «فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ » (المائدة ١١٧) .
* «فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » (يوسف ١٠١) .

ومن شواهد ضمير الغيبة :

* «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا» (البقرة ٢٩) .
* «قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ » (البقرة ١٣٩) .
* «لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » (البقرة ١٦٣) .
* «اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » (آل عمران) .

لقد رأينا في هذه الشواهد إطراد الإفراد في ضميري الخطاب والغيبة عند ذكر الله تعالي ، وذلك تجنباً لظن الوقوع في التعدد الذي يفهم من ضمير الجمع . فلو خوطب سبحانه بضمير الجمع لكان من الممكن للسامع غير المسلم أن يفهم من الضمير أنه يشير إلي جماعة من المخاطبين، أو يفهم من ضمير الغيبة إشارة إلي التعدد أيضاً .

هذا فيما يتصل بضميري الخطاب والغيبة ، أما فيما يتصل بضمير التكلّم فإن الله تعالي يستعمل ضمير المتكلم المفرد حينا وضمير المعظم ذاته حيناً آخر ، بحسب سياق النص . أما ضمير المتكلم المفرد فيكون استعماله عندما يكون الكلام موجها إلي المقربين أو المعاتبين من عباده كما في قوله تعالي :

* «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ» (طه ١٢ - ١٣) .
* «إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي» (طه ١٤) .

* «فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (البقرة ١٦٠) .

* «يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (النمل ٩) .

* «تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ » (الممتحنة ١) .

أما بمناسبة ذكر الآلاء والنعم والقدرات الإلهية فإن الله سبحانه يستعمل ضمير الجمع لإعلاء الذات كما نري في الشواهد الآتية :

* «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (الحجر ٩) .

* «وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ » (الحجر ٢٣) .

* «نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ » (الإسراء ٣١).

* «وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا» (الإسراء ٥٨) .

* «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ » (الكهف ١٣) .

* «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ » (مريم ٤٠) .

* «ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا» (مريم ٧٠) .

* «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» (طه ١٠٤ و ق ٤٥) .

* «نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ» (طه ١٣٢) .

* «فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» (القصص ٥٨) .

* «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» (يس ١٢) .

* «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (الزخرف ٣٢) .

* «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» (ق ١٦) .

* «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ» ( ق ٤٣) .

* «نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ» (الواقعة ٦٠) .

* «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ» (الواقعة ٧٣) .

* «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ» (الواقعة ٨٥) .

* « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً» (الإنسان ٢٣) .

* «نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً» (الإنسان ٢٨) .

ولعل القرينة النصية الدالة علي أن الضمير «نحن» لايدل علي متعدد هي قوله تعالي في سورة طه : « إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي» (طه ١٤) . وقد سبق ذكر هذا الشاهد .

ومما يمكن أن يضاف إلي المعاني العدولية الأسلوبية للضمائر ما يقصد بها من الدلالة علي الشأن أو القصة بحيث يصبح الشأن مرجعاً متأخراً للضمير ، فإذا كان الضمير مذكرا سمي ضمير الشأن وإن كان مؤنثا قيل له ضمير القصة . ومن شواهد ذلك :

* «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④» (الإخلاص ١ - ٤) .

* فالشأن الذي عاد عليه الضمير هو «اللّه أحد اللّه الصمد» أما ما بعد ذلك إلي نهاية السورة فهو كلام مفسر لكلمة «الصمد» .

* «إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ» (طه ٧٤).

* «فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» ( الحج ٤٦).

* « يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (النمل ٩).

فما بعد الضمير في كل ذلك هو مرجع الضمير .

## ثانياً : ضمائر الإشارة :

وقد يشار إلي كلام لاحق بضمير إشارة فلا يكون ثمة فارق بينه وبين ما يسمي ضمير الشأن ومن ذلك ما في قوله تعالي :

* «ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ» ( آل عمران ٥٩) . فمرجع الضمير «ذلك» هو قوله «إن مثل عيسي ... الخ.».

* «فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ....» (البقرة ٣٧ - ٣٨) . فالكلمات هي «قلنا اهبطوا .... الخ».

ويمكن كذلك أن يشار إلي كلام سابق بضمير إشارة يتلوه واو العطف (وذلك شرط فيما نقصد) ومن ذلك قوله تعالي :

* «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ » (الحج ٢٧ - ٣٠) . ومثله قوله تعالي :

* «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ » (الحج ٣٢) .

فقوله «ذلك «إشارة إلي الشأن السابق في الكلام ، والواو عاطفة علي ما يلي . أي أن من الشأن النحوي ما يكون مرجعاً لضمير الإشارة ، سبقه ضمير الإشارة أو لحقه .

وكما حمل الضمير الشخصي «نحن» شحنة الاحترام وجدنا بعض الضمائر الإشارية يحمل شحنة من المعني الإضافي أيضاً وذلك في النص القرآني كذلك . فللإشارة إلي الجماعة ضميران هما «أولئك» و «هؤلاء» . فأما أولئك فيشار به دون نية تكريم أو إنتقاص ، ولكن استعمال «هؤلاء» في

النص القرآني يحمل من إرادة الإنتقاص قدراً لايخفي علي ذي فهم . يكفي أن نقرأ لفظ «هؤلاء» في الشواهد التالية لنعرف أن المشار إليهم غير محل رضى ، وإليك ما يلي من شواهد ذلك :

* «فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (البقرة ٣١) .
* « ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ» (البقرة ٨٥) .
* «هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ» (آل عمران ٦٦) .
* «هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ » (آل عمران ١١٩) .
* «وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا»(النساء ٥١) .
* «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » (النساء ٧٨) .
* «هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (النساء ١٠٩).
* «مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ » (النساء ١٤٣).
* «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ » (المائدة ٥٣).
* «وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا» (الأنعام ٥٣).
* «فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ»(الأنعام ٨٩).
* « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ» (يونس ١٨).
* «وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (هود ١٨)

* «قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ » (هود ٧٨).
* «فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِن قَبْلُ» (هود ١٠٩) .
* «وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» (الحجر ٦٦).
* « قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ» (الحجر ٦٨) .
* «قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ» (الحجر ٧١).
* «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلاءِ » (النحل ٨٩) .
* «هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ » (الكهف ١٥) .
* «بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ » (الأنبياء ٤٤).
* «ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ » (الأنبياء ٦٥) .
* «لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ» (الأنبياء ٩٩) .
* « وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ» (الفرقان ١٧).
* «إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ»(الشعراء ٥٤ - ٥٥) .
* «وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ » (ص ١٥) .
* « وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ» (الزمر ٥١) .
* «وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ» (الزخرف ٨٨) .
* «إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ» (الدخان ٣٤ - ٣٥) .
* «هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ» (محمد ٣٨).

* «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» (الإنسان ٢٧).
* «وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ» (المطففين ٣٢ - ٣٣).

ومن أساليب الإشارة ما أسميه : «الإشارة علي الشيوع» . وذلك هو الإشارة إلي غير معيّن . ومن ذلك أن تقول لسامعك مثلا : إما أن تكون صديقي أو عدوّي ، «اختر هذه أو تلك» . فذلك في قوة قولك : اختر أيهما شئت ، وهكذا تكون الإشارة علي الشيوع وقد جاء في سورة الإسراء (٦٦ - ٧٢) شيء من هذا القبيل . وذلك ما نصادفه في قوله تعالي « وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا». وإليك ما نفهمه من معني «هذه» و «الآخرة» .

١ - يسّر الله للإنسان طلب الرزق في البحر

٢ - ولكن في ركوب البحر خطراً .

الله تعالي ينقذ الإنسان من أخطار البحر

ولكن الإنسان يعرض عن شكر الله

الله قادر علي إعادة الإنسان إلي خطر البحر

وقادر علي عقابه في البر أيضا

سيحاسب الله عباده يوم القيامه .

فمن حسن عمله نجا ، ومن ساء عمله في أي من هاتين البيئتين بالإعراض عن شكر النعمة فلن ينفعه الشكر للنعمة الأخري . وهكذا تصلح «هذه» للإشارة إلي أي واحد من المرجعين دون تعيين .

## ثالثاً : ضمائر الغيبة :

سبق أن ذكرنا معني الغيبة في الكلام عن اتخاذ فكرة ضمير الشأن في مقدمة للكلام عن دلالة ضمائر الإشارة علي ما يسبقها وما يليها ،

وعددنا هنا صورة أخري لضمير الشأن . وذلك أن نتناول وسيلة أخري للدلالة علي الغيبة بواسطة ما تكنه «ال» الدالة علي الجنس وكذا الدالة علي العهد . ولست أريد الكلام هنا عن مطلق الجنس ، لأن دلالة «ال» علي مطلق الجنس لاتضيف إلي المعني ظلا معها . ولكني أشير إلي نوع من الجنس أسميه : «الجنس النسبي» ، لأن مدلول هذه التسمية لايستقل بالوجود ؛ وإنما يوجد منسوبا إلي مفهوم آخر . ففي قوله تعالي : « وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ» (النازعات ٤٠) دل لفظ «النفس» علي صاحب النفس ، لأن لكل حي نفسا تنسب إليه وينسب إليها . ولذلك كانت النفس دالة علي جنس من الأجناس لايستقل بوجود خاص . ومن ثم كان من قبيل الجنس النسبي الذي يدل علي ما نسب إليه . ومنه :

* «وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» (الأحزاب ١٠) .
* « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد ٢٨) .
* «وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ» (الأنفال ١١).
* «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ» (النجم ٢٣) .

فالقلوب والحناجر والأقدام والظن والأنفس كل أولئك يفهم بالنسبة إلي ذويه ، ومن ثم سميت هذا الجنس بالجنس النسبي .

وتبقي بعد ذلك «ال» الدالة علي تعهد . ولقد سبق بيان معني العهد بأنه «المعرفة السابقة». وقد يكون السبق سبقا للذكر كما مضي نحو : «وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ» (يوسف ٥٨) ، وقد يكون سبقا لمجرد المعرفة الذهنية كما في قوله تعالي : « النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ » (الأحزاب ٦) . ومع أن ذاكرة العهد قد ترتبط بسبق الذكر فتكون «ال» بمعني «المذكور» أو بسبق المعرفة العامة فتكون بمعني «المعهود»، فإن فكرة الحضور بالنسبة لهذه الذاكرة أضعف من أن تقاوم فكرة السبق . وبذلك أري أن المعهود بواسطة «ال» يعد أقرب إلي ضمائر الغيبة منه إلي ضمائر الحضور .